الصباح
08
العدد 3094 - السنة الحادية عشرة
الخميس 29 رمضان 1439 - الموافق 14 يونيو 2018
Thursday 14 June 2018 - No.3094 - 11 th Year

دروس ولطائف من رحلة النبي إلى الطائف

ابتدأت مرحلة جديدة وعصيبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كثرت وتكالبت المحن والشدائد عليه، من موت عمه الذي كان يدافع عنه ويحميه، وموت زوجته التي كانت تواسيه وتخفف عنه آلامه، ومع هذا فقد مضى في تبليغ دعوته ورسالته، فعزم على أن ينتقل إلى بلد غير بلده، وقوم غير قومه، وهو في ذلك يقتدي بالأنبياء والمرسلين الذين سبقوه، فدعا سرا وجهرا، وبشر وأنذر، ودعا إلى الله في كل وقت وحال..

فهاهو ينتقل إلى الطائف، لمحاولة إيجاد مكان وأرض جديدة للدعوة، يذهب إليها - صلى الله عليه وسلم - سيرا على قدميه ذهابا وعودة، لكن أهل الطائف لم يستجيبوا له، وردوه ردا منكرا، وسلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم، فوقفوا له صفين يلقونه بالحجارة، فأصيب في قدميه، وسال دمه الزكي - صلى الله عليه وسلم - على أرض الطائف، وزيد بن حارثة - رضي الله عنه - معه، يدافع عنه حتى أصيب في رأسه .. ومازالوا به وبزيد حتى دخلا إلى بستان لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ليستريحا، فلما رآه عتبة وشيبة على هذه الحال الشديدة أشفقا عليه، وأرسلا غلاما لهما اسمه عداس بقطف من عنب، فوضعه بين يديه.. وفي هذه اللحظات من الأسى والحزن والألم، جاءه ملك الجبال لينامره بما شاء من إهلاكهم، فرفض النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم رجع إلى مكة مرة ثانية.

إنّا تأملنا هذه الرحلة الشاقة، التي قام بها النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف، وما انطوت عليه من آلام جسدية ونفسية وما حدث فيها، نستخلص دروسا نافعة، نستفيد منها في تعاملنا مع واقعنا الذي نعيشه، وهي كثيرة، منها:

لقد أظهرت هذه الرحلة الشاقة بصورة عملية، معاني الصبر والرضا والشفقة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... فقد استقبل هذه المحن التي تعرض لها صابرا، وتجرع تلك الشدائد محتسبا وراضيا، وإلا فقد كان بوسعه أن ينتقم من السفهاء الذين آذوه، ومن زعمائهم الذين أغروا به، وسلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم.. لكنه - صلى الله عليه وسلم - صبر ورضي، بل وأشفق عليهم رغم إيذائهم له، فقد كانت رحمته وشفقته - صلى الله عليه وسلم - هي التي تغلب في المواقف العصيبة التي تضغط على النفس لتشدد وتقسو، ومع ذلك تبقى نفسه الكبيرة، ورحمته العظيمة هي الغالبة..

سألت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائلة: (يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟، فقال - صلى الله عليه وسلم - : لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (ميقات أهل نجد)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، ولقد أرسل إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتامرني بأمرك فيما شئت؟، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (الجبلين)، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) (البخاري)..

لقد كانت إصابة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد أبلغ من الناحية الجسدية، أما من الناحية النفسية فإن إصابته يوم الطائف أبلغ وأشد، ومع ذلك رفض إهلاك من آذوه، فقد كانت نظرة النبي - صلى الله عليه وسلم - نظرة مستقبلية فيها أمل وشفقة، شفقة عليهم ، وأمل في أن يكون منهم ومن أبنائهم، من يحمل راية الإسلام عالية خفاقة، وكان ما رجاه وأمله - صلى الله عليه وسلم...

ولسائل أن يتساءل ما موقع وأثر كل ما رآه وتعرض له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه الرحلة الشاقة؟، يتضح الجواب على ذلك فيما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - لزيد بن حارثة - حينما ساله زيد قائلا: كيف تعود يا رسول الله إلى مكة وهم أخرجوك؟، فأجاب - صلى الله عليه وسلم - في يقين وثقة واطمئنان - قائلا: (يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه).

وفي ذلك درس هام، وهو يقينه - صلى الله عليه وسلم - بوعد الله ونصره، فكل الذي حدث له - صلى الله عليه وسلم - قبل رحلة الطائف وبعدها، لم يكن له أي تأثير على ثقته ويقينه بوعد الله ونصره، وتفاؤله وقوة عزيمته في تبليغ دعوته ورسالته، فيعلمنا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لا تصدنا المحن والعقبات التي تلاقيها عن السير في طريق دعوتنا إلى الله، وأن لا تبث فينا روح الإحباط والكسل، فمن استمد القوة من الله جدير به أن لا يعرف لليأس والكسل معنى، فمادام الله هو الأمر، فلا شك أنه هو سبحانه - المعين والناصر أيضا ..

ومع ما في هذه الرحلة الشاقة من آلام، فلقد تحقق فيها انتصارات دعوية، فقد أسلم عداس النصراني، فبعد العسر يأتي اليسر، ومع الهم يأتي الفرج.. فحينما جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بستان ابني ربيعة ليستريح قليلا، أرسلا غلاما لهما نصرانيا - يقال له عداس - بقطف من عنب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما وضعه بين يديه - صلى الله عليه وسلم، مد يده قائلا:(بسم الله ثم أكل، فقال عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال - صلى الله عليه وسلم - : من أي البلاد أنت وما دينك؟، فقال عداس : أنا نصراني من أهل نينوي، فقال - صلى الله عليه وسلم - : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟، فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى؟، فقال - صلى الله عليه وسلم -: ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي، فأكب عداس على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويديه ورجليه يقبلهما وأسلم) ..

وفي إسلام عداس مواساة للنبي - صلى الله عليه وسلم - فلئن آذاه قومه، فهذا من العراق من نينوي، يقبل يديه ورجليه، ويشهد له بالرسالة ويسلم، وكأنه يعتذر عن إيذاء أولئك السفهاء، فبعد الصد والإعراض من قومه، يأتي من يؤمن به - صلى الله عليه وسلم - من تلك البلاد البعيدة.

وكذلك في إسلامه - رضي الله عنه - فائدة عظيمة، ألا وهي فضل وبركة التمسك بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فالتسمية قبل الأكل من السنن والآداب التي علمها لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - والتمسك بهذه الآداب والسنن من أسباب تميز المسلمين على من حولهم من المشركين، وهذا التميز يلفت أنظار الكفار دائما، ويدفعهم إلى السؤال، ثم يقودهم ذلك إلى فهم الإسلام والانجذاب إليه والدخول فيه، كما حدث مع عداس ومع غيره إلى يومنا هذا ..

ومن خلال هذا الحدث - رحلة الطائف - رأينا حب الصحابة رضوان الله عليهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - ودفاعهم عنه، فلهذا ذلك فيما فعله زيد بن حارثة - رضي الله عنه - من دفاع وحمايته بنفسه للرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى شج في رأسه، وهذا نموذج لما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم في الدفاع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم ..

ولئن كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير موجود بيننا، فلا يتصور الدفاع عنه على النحو الذي كان يفعله أصحابه، لكن ذلك يتحقق على نحو آخر، وهو أن نتمسك بسنته - صلى الله عليه وسلم - وندافع عنها وندعو إليها، وأن نشارك بشيء من تحمل الجهد في سبيل ديننا والدعوة إليه، كما فعل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم ...

ومن خلال مقترح ملك الجبال، وضع النبي - صلى الله عليه وسلم - منهجه في التغيير، وهذا من الدروس الهامة من هذه الرحلة الشاقة، إذ كان مقترح ملك الجبال أن يُطبق عليهم الجبلين، وهو يدخل تحت أسلوب ومنهج الاستئصال، وقد نفذ في قوم نوح وعاد وثمود ولوط، قال تعالى:﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (العنكبوت:40).

وكان هناك مقترح آخر، وهو أن يستمر النبي - صلى الله عليه وسلم - في هجرته وبُعده عن مكة، وعرض ذلك زيد في قوله لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو راجع إلى مكة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟.. لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - رفض منهج الاستئصال، وامتنع عن فكرة الاعتزال والهجرة المستمرة، ونظر إلى المستقبل بنور الإيمان، وروح التفاؤل، وقرر الرجوع إلى مكة، ليواصل دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، رغم ما يلقاه من تعب ومشقة وعناء من قومه، وهذا هو الأسلوب والمنهج الذي وضعه لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوتنا إلى الله، كما قال تعالى :﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (النحل:125)، إن رحلة الطائف، رغم ما فيها من أحداث مؤلمة، تركت لنا دروسا هامة، ينبغي على المسلم الوقوف معها والعمل بها، ليسعد في الدنيا والآخرة ..

بعض الظواهر اللغوية .. في الأحاديث النبوية

وجد الباحثون المتخصصون الذين قاموا بتحليل الأحاديث النبوية الشريفة عددًا من الظواهر اللغوية التي تسترعي الانتباه، وتدعو اللغويين إلى دراستها بشكل مستفيض؛ ومن ذلك: أنهم وجدوا - بعد تحليل جملة الحديث الشريف، واستخراج أنماطها، وتراكيبها اللغوية - أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم سار وفق القواعد التي استخرجها النحاة من النصوص اللغوية الفصيحة، بل قالوا: «إن القواعد اللغوية لم تخالف ما اشتمل عليه الحديث النبوي الشريف من قواعد، وأصول في بنائه اللغوي».

ووجدوا أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام مثل كل أنواع الجمل، وأنماط التراكيب اللغوية التي تحدث عنها النحاة، وأن الباحثين لو أرادوا أن يقابلوا بين أبواب النحو العربي في أمهات كتب النحو ومصادره الكبرى، وأنماط الجملة في الحديث الشريف، لوجدوا - غالبًا - أن كل أبواب النحو لها شواهد في الحديث النبوي.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن الظاهرة النحوية الواحدة لها مئات الشواهد في كتب النحاة مما لا يوجد مثلها في الحديث الشريف؛ ذلك أن النحو العربي يستمد شواهده من القرآن الكريم، ومن شعر العرب ونثرهم على امتداد عصورهم، بينما الحديث الشريف يصدر من متكلم واحد - صلى الله عليه وسلم - يُرسل الكلام دقيقًا مقيدًا دالًا موجزًا بليغًا ليُبلغ رسالة ربه عز وجل، وليعلم أمته بالواضح من القول، والشائع من أسلوب البيان.

ولهذا فقد رأى بعض الباحثين المعاصرين أن لغة الحديث النبوي الشريف تمثل صورة واضحة دقيقة للنحو الوظيفي الذي يجب أن يُعلَّم للطلاب، وألا يُقدَّم لهم غيره؛ لأن فيه الأنماط الأساسية لكل حكم نحوي، والحقائق الكبرى، والأمثلة الواقعية المستمدة من أحوال الناس، والمستخرجة من حياتهم اليومية.

ومن الملحوظات التي استوقفت الباحثين اللغويين الذين تناولوا الحديث النبوي على مائدة الدرس اللغوي:

استعمال (أوّل) اسمًا للتفضيل:

أورد (لسان العرب) كلمة «أوّل» في مادة (وأل)، وليس في مادة (أول) - كما قد يتبادر إلى الذهن -، بل إن كثيرًا من اللغويين ظن أنها من هذه المادة، قال في اللسان: «فمنهم من يقول: (أوّل) تأسيس بنائه من همزة وواو ولام، ومنهم من يقول: تأسيسه من (واين) بعدهما لام، ولكل حُجّة».

وقال ابن برّي: «إنها أفعل من (وَوَل)، فهي من باب (دودن)، و(كوكب)، مما جاء فاؤه وعينه من موضع واحد»، قال: «وهذا مذهب سيبويه وأصحابه».

وفي (الصحاح): «والأوّل نقيض الآخر، وأصله (أوْأل) على أفعل مهموز الأوسط، فقلبت الهمزة واوًا وأدغم، يدل على ذلك قولهم: هذا أوّل منك، والجمع الأوائل، والأوالي أيضا على القلب».

وثانيًا (أوّل) صفة، وثانيًا اسمًا، وتستخدم منكرة ومعرفة صفة لما قبلها من الأسماء عادة.

لكنّ الباحثين اللغويين وجدوا لها استعمالًا فريدًا في الحديث الشريف؛ وهو استعمالها بمعنى (أفعل التفضيل).

وهي في هذا الاستعمال تعني: الأفضل في الأوّليّة؛ أي: (الأوّال)، على ما هو اشتقاق الكلمة في الأساس، قبل أن تُقلب الهمزة - وهي عين الفعل - واوًا، ثمّ تُدغمُ الواوُ في الواو.

ومن شواهد ذلك في حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! مَن أسعدُ النّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد ظننتُ يا أبا هريرة أنّ لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوّل منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ النّاس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، أو نفسه) رواه مسلم.

ومن ذلك أيضا: ما رُوي عن عليّ بن يحيى بن خلّاد الزّرقيّ عن أبيه عن رفاعة بن رافع الزّرقيّ، قال: كنا يومًا نصلي وراء النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فلمّا رفع رأسه من الرّكعة قال: (سمع الله لمن حمده)، قال رجل وراءه: «ربّنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه»، فلمّا انصرف، قال: (من المتكلم؟) قال: أنا، قال: (لقد رأيتُ بضعةً وثلاثين مَلَكًا يبتدرونها أيّهم يكتبها أوّل) رواه مسلم.

في الحديث الأوّل يُلاحظ أنّ كلمة (أوّل) جاءت منصوبة، وفي الثّاني جاءت مرفوعة، وهذا وفق ما قال به النّحاة: قال سيبويه: «وأمّا قولهم: ابدأ به أوّل، وابدأ بها أوّل، فإنما تريد أيضا أوّل من كذا، ولكنّ الحذف جائزٌ جيّد؛ كما تقول: أنت أفضل، وأنت تريد من غيرك، إلا أنّ الحذف لزمَ صفة عامّ لكثرة استعمالهم إيّاه حتّى استغنوا عنه، ومثل هذا في الكلام كثيرٌ، والحذف يستعمل في قولهم: ابدأ به أوّل أكثر، وقد يجوز أن يظهروه، إلا أنّهم إذا أظهروه لم يكن إلا الفتح».

في رحاب حديث قدسي

«يا ابن آدم لوبلغت ذنوبك عنان السماء»

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: قال الله تبارك وتعالى: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي وصححه ابن القيم وحسنه الألباني.

غريب الحديث

عنان السماء: وهو السحاب وقيل ما انتهى إليه البصر منها.

قراب الأرض: ملؤها أو ما يقارب ملأها.

إنك ما دعوتني ورجوتني: أي ما دمت تدعوني وترجوني.

ولا أبالي: أي إنه لا تعظم علي مغفرة ذنوبك وإن كانت كبيرة وكثيرة.

منزلة الحديث

هذا الحديث من أرجى الأحاديث في السنة، ففيه بيان سعة عفو الله تعالى ومغفرته لذنوب عباده، وهو يدل على عظم شأن التوحيد، والأجر الذي أعده الله للموحدين، كما أن فيه الحث والترغيب على الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى.

أسباب المغفرة

وقد تضمن هذا الحديث أهم ثلاثة أسباب تحصل بها مغفرة الله وعفوه عن عبده مهما كثرت ذنوبه وعظمت، وهذه الأسباب هي:

-1 الدعاء مع الرجاء :

فقد أمر الله عباده بالدعاء ووعدهم عليه بالإجابة ، فقال سبحانه: ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (غافر: 60) . وقال - صلى الله عليه وسلم -: (الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ هذه الآية) رواه أحمد ، ولكن هذا الدعاء سبب مقتض للإجابة عند استكمال شرائطه وانتفاء موانعه ، فقد تتخلف الإجابة لانتفاء بعض الشروط والآداب أو لوجود بعض الموانع. ومن أعظم شروط الدعاء حضور القلب، ورجاء الإجابة من الله تعالى. قال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه الترمذي : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) . ولهذا أمر العبد أن يعزم في المسألة وألا يقول في دعائه اللهم اغفر لي إن شئت، ونهى أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة، وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد حبل الرجاء ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء، وما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة مع عدم قطع الرجاء، فإن الله يستجيب له ويبلغه مطلوبه ولو بعد حين، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له.

-2 الاستغفار مهما عظمت الذنوب :

السبب الثاني من أسباب المغفرة المذكورة في الحديث، هو الاستغفار مهما عظمت ذنوب الإنسان، حتى لو بلغت من كثرتها عنان السماء وهو السحاب أو ما انتهى إليه البصر منها، وقد ورد ذكر الاستغفار في القرآن كثيراً فتارة يأمر الله به كقوله سبحانه: ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ (المزمل: 20)، وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ (آل عمران: 17)، وتارة يذكر جزاء فاعله كقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ (النساء: 110) . والاستغفار الذي يوجب المغفرة هو الاستغفار مع عدم الإصرار على المعصية والذنب، وهو الذي مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة في قوله: ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (آل عمران: 135)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك) والمعنى أي ما دمت على هذ الحال كلما أذنبت استغفرت من ذنبك، قال بعض الصالحين: «من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره». وكان بعضهم يقول: «استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير».

وأفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيح: (سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، ومن صيغ الاستغفار العظيمة ما ورد في الحديث الصحيح عند الترمذي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف) . -3 التوحيد الخالص :

السبب الثالث من أسباب المغفرة تحقيق التوحيد، وهو من أهم الأسباب وأعظمها، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ (النساء: 48)، والتوحيد في الحقيقة ليس مجرد كلمة تنطق باللسان من غير فقه لمعناها، أو عمل بمقتضاها، إذا لكان المنافقون أسعد الناس بها، فقد كانوا يرددونها بالسنتهم صباح مساء ويشهدون الجمع والجماعات، ولكنه في الحقيقة استسلام وانقياد، وطاعة لله ولرسوله، وتعلق القلب بالله سبحانه محبة وتعظيما، وإجلالا ومهابة، وخشية ورجاء وتوكلا، كل ذلك من مقتضيات التوحيد ولوازمه، وهو الذي ينفع صاحبه يوم الدين.